أبو حنيفة واستدلاله النحوي واللغوي على المسائل الفقهية
خلاصة البحث

اعداد الباحث
د. اسعد عبد العليم السعدي
التدريسي في كلية الإمام الأعظم، قسم الأنبار

الحمدُ الله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه إلى يوم الدين.

وبعد: فإنَّ أمتنا العربية والإسلامية أنجبت الكثير من العلماء الأعلام في ميادين العلوم المتعددة، ومنها علوم اللغة العربية والفقه الشريف.

وكان أبو حنيفة النعمان بن ثابت المتوفى سنة خمسين ومائة هجريا واحداً من أبرز العلماء الذين رفدوا علوم الشريعة بالأحكام الفقهية والمفاهيم الشرعية التي صار الناس عيالاً عليها.

فقد اشتهر بأنَّهُ رأي المذهب الحنفي، وهذا ما تعارف عليه الدارسون والباحثون. إلا أنَّ الجانب الأخر الذي نبغ فيه، وهو علم اللغة العربية لم يكتب فيه أحد- على ما أعلم- كما كتبوا عنه في علم الفقه الشرعي.

من هنا استقرت الفكرة عندي بتناول هذا الجانب، والكتابة عن أثره في علوم اللغة والنحو، فكان هذا البحث الموسوم بـ(أبو حنيفة واستدلاله النحوي واللغوي على الأحكام الشرعية) إذ تألف البحث من ثلاثة مباحث: تناولت في المبحث الأول الذي تحت عنوان (حياة أبي حنيفة) اسمهُ ونسبهُ ومولده ونشأتهُ العلمية وشيوخه وتلاميذه ومؤلفاته وقراءاته وصفاته ووفاته.

ولم أسهب في هذا المبحث؛ لأنَّ الذين كتبوا عن حياة الإمام –رحمه الله تعالى– كُثر ولأنَّ البحث مقيد بصفحات محدودة.

أما المبحث الثاني فقد كان في علاقة الفقه باللغة العربية تناولتُ فيه: حاجة الفقيه إلى اللغة العربية، وصحة الاحتجاج باللغة العربية للأحكام الشرعية، كما تناولت علاقة أبي حنيفة باللغة العربية.

أما المبحث الثالث فقد كان في توجيهاته النحوية للمسائل الفقهية، وتوجيهاته اللغوية للمسائل الفقهية.

وقد تنوعت المصادر التي بين علوم اللغة والفقه والتفسير والتأريخ بما أغنى هذا البحث بالمعلومات التي تشكل صلبه وقوامه.

ثم ختمته بخاتمة أوجزتُ فيها خلاصة ما توصلت إليه من نتائج ومقترحات.

وقد تمخض البحث عن نتائج أهمها:

أنَّ أبا حنيفة كان عالماً فذاً من علماء العربية على الرغم مما قيل عنه ونسب من أقوال لا تمت إلى الحقيقة بصلة.

بل الحقيقة التي تجلت لنا من هذا البحث أنَّ هذا الزخم الكبير من الفقه لا يمكن أنْ ينتج إلا عن عالم باللغة العربية نحوها وصرفها بل وجميع علومها.

كما توصلت إلى أن هذه الشذرات النحوية واللغوية التي جاءت على لسان أبي حنيفة – رحمه الله تعالى – إنَّما تدل دلالة واضحة على درايتهُ بلهجات العرب، وذلك من خلال التخريجات التي عرضتها في هذا المبحث.

من خلال ما سبق يقترح الباحث بما يأتي:

١- تكريس بعض الرسائل والبحوث لدراسة علم أبي حنيفة النعمان–رحمه الله تعالى– في اللغة العربية فضلا عن ما عرفه الناس عنه من فقه وأحكام

٢- توجيه الباحثين لكتابة التآليف التي تتناول علاقة علم أبي حنيفة في اللغة والنحو مع علومه الفقهية واستدلالاته.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المقدمـة

الحمدُ الله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمـدٍ خـاتم الأنبيـاء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه إلى يوم الدين.

وبعد: فإنَّ أمتنا العربية والإسلامية أنجبت الكثير من العلماء الأعلام في ميـادين العلـوم المتعددة، ومنها علوم اللغة العربية والفقه الشريف.

وكان أبو حنيفة النعمان بن ثابت المتوفى سنة خمسين ومائة للهجرة واحداً مـن أبرز العلماء الذين رفدوا علوم الشريعة بالأحكام الفقهية والمفاهيم الشرعية التـي صـار الناس عيالاً عليها.

فقد اشتهر بأنَّهُ رأي المذهب الحنفي، وهـذا مـا تعـارف عليـه الدارسـون والباحثون. إلا أنَّ الجانب الأخر الذي نبغ فيه، وهو علم اللغة العربية لم يكتب فيه أحد- على ما أعلم- كما كتبوا عنه في علم الفقه الشرعي.

من هنا استقرت الفكرة عندي بتناول هذا الجانب، والكتابة عن أثره في علوم اللغـة والنحو، فكان هذا البحث الموسوم بـ(أبو حنيفة واستدلاله النحوي واللغوي على الأحكام الشرعية) اذ تألف البحث من ثلاثة مباحث: تناولت في المبحث الأول (حياة أبي حنيفة) اسمهُ ونسبهُ ومولده ونشأتهُ العلمية وشيوخه وتلاميذه ومؤلفاته وقراءاته وصفاته ووفاته.

ولم أسهب في هذا المبحث؛ لأنَّ الذين كتبوا عن حياة الإمام -رحمه الله تعالى- كُثر ولأنَّ البحث مقيد بصفحات محدودة.

أما المبحث الثاني فقد كان في علاقة الفقه باللغة العربية تناولتُ فيه: حاجة الفقيه إلى اللغة العربية، وصحة الاحتجاج باللغة العربية للأحكام الشرعية، كما تناولت علاقة أبي حنيفة باللغة العربية.

أما المبحث الثالث فقد كان في توجيهاته النحوية للمسائل الفقهية، وتوجيهاته اللغوية للمسائل الفقهية.

وقد تنوعت المصادر التي بين علوم اللغة والفقه والتفسير والتأريخ بما أغنى هذا البحث بالمعلومات التي تشكل صلبه وقوامه.

ثم ختمته بخاتمة أوجزتُ فيها خلاصة ما توصلت إليه من نتائج ومقترحات ولا أدعي الكمال؛ فالكمال لله تعالى، وحسبي أني قدمت ما يفيد الدارسين من هذا العلم الفذ فأسال الله تعالى أن يثيبني عليه وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الباحث

د. اسعد عبد العليم السعدي

التدريسي في كلية الإمام الأعظم، قسم الأنبار

المبحث الأول
(حياة أبي حنيفة)

اسمه ونسبه:.

هو النعمان بن ثابت بن النعمان المرزبان[١] بن زُوَطى التميمي الكوفي[٢]، من أبناء فارس الأحرار[٣] ينتسب إلى أسرة شريفة في قومه، أصله من كابل – عاصمة أفغانستان اليوم– أسلم جده المرزبان أيام عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – وتحول إلى الكوفة واتخذها سكناً [٤]

مولدهُ :–

أجمعت المصادر التي ترجمت لأبي حنيفة –رحمه الله تعالى– على أنه ولد بالكوفة سنة ثمانين في خلافة عبد الملك بن مروان[٥] – رحمه الله تعالى– على القول الراجح[٦].

نشأتهُ العلمية :–

(١) ينظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ١٣، ٣٢٤، سير أعلام النبلاء للذهبي: ٥، ٢٢٢ تهذيب التهذيب لأبي حجر العسقلاني:١٠، ٤٤٩، مناقب الإمام أبي حنيفة للذهبي: ٧، هدية العارفين لإسماعيل باشا البغدادي: ٦، ٤٩٥.

(٢) ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٥، ٢٢٢، هدية العارفين للبغدادي: ٦، ٤٩٥، أبو حنيفة النعمان لوهبي سليمان الألباني: ٣٧.

(٣) ينظر: تأريخ بغداد للخطيب البغدادي: ١٣، ٣٢٤، تهذيب التهذيب لأبي حجر العسقلاني: ١٠، ٤٤٩، أبو حنيفة النعمان للألباني: ٣٧.

(٤) ينظر: مناقب الإمام أبي حنيفة للذهبي: ٧، أبو حنيفة النعمان للألباني: ٣٧.

(٥) ينظر: تأريخ بغداد للخطيب البغدادي: ١٣، ٣٢٦، الخيرات الحسان في مناقب الإمام الأعظم: ٢٨، هدية العارفين للبغدادي:٦، ٤٩٥.

(٦) هناك من يرى أنه ولد سنة أحدى وستين، ومنهم من يرى انه ولد سنة سبعين ولكن العلماء ضعفوا تلك الروايات وجعلوها شاذة ينظر: أبو حنيفة النعمان للذهبي:٧، الخيرات الحسان للهيتمي:٢٨.

نشأ أبو حنيفة – رحمه الله تعالى – بالكوفة، وهي حينئذ تشهد نشاطاً علمياً كبيراً في أسرة مسلمة صالحة غنية كريمة، وكان أبوه بزازاً، يبيع الأثواب في دكان لهُ بالكوفة، ولقد خلَف أباه بعد ذلك فيه.

وامتاز بالذكاء واتقاد الذهن والحافظة؛ فقد حفظ القرآن الكريم في صغره[١] وكان مع والده، ولم يعلق سماع دروس العلماء وحضور حلقاتهم إلى أن وافق لقاء بيَنهُ وبين الشعبي فكان فاتحة خير عظيم في حياة الإمام – رحمهما الله تعالى– [٢]. روى أبو محمد الحارثي بسندهِ إلى الإمام أبي حنيفة – رحمه الله تعالى – قال: مررتُ يوماً على الشعبي وهو جالسٌ فدعاني وقال: إلام تختلف ؟ فقال: أختلف إلى فلان، قال: لم أعنِ إلى السوق، عنيتُ الإختلاف إلى العلماء، فقلت لهُ: أنا قليل الاختلاف إليهم، فقالَ: لا تفعل، وعليك بالنظر في العلم ومجالسة العلماء؛ فإني أرى فيك يقظة وحركة.

قال: فوقع في قلبي من قوله، فتركتُ الإختلاف – أي: إلى السوق – وأخذت في العلم، فنفعني الله تعالى بقولهِ.[٣]

ويروى أنَّهُ بدأ يتعلم النحو، والنحو[٤] في أصله قواعد مضبوطة وأقوال مسموعة لكنَّ أبا حنيفة كان رجلاً يحب استخدام عقله ورأيه فاتجه إلى الفقه الذي يوجد فيه قياس يرضي عقله وذكاءه، ولهذا تجده يميل إلى الأخذ بالرأي من أول طريقه[٥] وكان سبب توجهه إلى الفقه ما روى زُفَر عنه – رحمهما الله تعالى – قال: سمعت أبا حنيفة يقول: كنت أنظر في الكلام حتى بلغت فيه مبلغاً يشار إلي فيه بالأصابع، وكنا نجلس بالقرب من حلقة حماد بن أبي سليمان، فجاءتني امرأة يوما فقالت: رجل له امرأة أراد أنْ يطلقها للسنّة كم يطلقها؟ فأمرتها أن تسال حماداً ثم ترجع فتخبرني؛ فسألت حماداً

---

(١) ينظر: أبو حنيفة النعمان للألباني: ٣٨.

(٢) ينظر: أبو حنيفة النعمان للألباني: ٣٩، الأئمة الأربعة للشرباصي: ٢٠.

(٣) ينظر: أبو حنيفة النعمان للألباني: ٣٩، نقلا عن عقود الجمان في مناقب الإمام أبي حنيفة النعمان للمؤرخ محمد بن يوسف الشافعي.

(٤) ينظر: تأريخ بغداد للخطيب البغدادي: ١٣، ٣٣٢.

(٥) ينظر: تأريخ بغداد للخطيب البغدادي: ١٣، ٤٢١، الأئمة الأربعة للشرباصي: ٢٠.

فقال: يطلقها وهي طاهر من الحيض والجماع تطليقة، ثم يتركها حتى تحيض حيضتين، فإذا اغتسلت فقد حلت للأزواج، فرجعت فأخبرتني فقلت: لا حاجة لي في الكلام، وأخذت نعلي فجلستُ إلى حماد أسمع مسائله، فأحفظ قوله، ثم يعيدها من الغد، فأحفظ ويخطئ أصحابه، فقال: لا يجلس في صدر الحلقة بحذائي غير أبي حنيفة [١].

وبجوار الفقه اشتغل بعلم الكلام وكان له فيه بحوث منها: الفقه الأكبر، الرد على القدرية، العالم والمتعلم، رسالته إلى البتي.

وليس غريباً أنْ يبرع أبو حنيفة – رحمه الله تعالى– في هذا المجال فإنَّ للعقل فيه صيالاً أي صيال[٢].

شيوخهُ:

لقد كان لأبي حنيفة طائفة من الشيوخ[٣] والأساتذة منهم: حماد بن أبي سليمان الأشعري، وزيد بن علي بن العابدين، ومحمد الباقر زين العابدين، وجعفر الصادق، وعبد الله بن الحسن بن الحسن، وجابر بن يزيد الجعفي [٤]، وابراهيم أبن محمد المنتشر الكوفي، وابراهيم بن النخعي الكوفي، أيوب السختياني البصري، والحارث بن عبد الرحمن الهمذاني الكوفي، وربيعة بن عبد الرحمن المدني، وسالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه–، وسعيد بن مشروق والد سفيان الثوري، وسليمان بن

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ١٣، ٣٣٣، سير أعلام النبلاء للذهبي: ٥، ٢٢٥، أبو حنيفة النعمان للألباني: ٤٣.

(٢) الأئمة الأربعة للشرباصي: ٢٠.

(٣) يروى أن شيوخ الإمام – رحمه الله تعالى– بلغوا أربعة آلاف شيخ، منهم سبعة من الصحابة، وثلاثة وتسعون من التابعيين، والباقي من أتباعهم ينظر: تهذيب التهذيب للعسقلاني:١٠، ٤٤٩، الخيرات الحسان للهيتمي: ٣٢، أبو حنيفة النعمان للألباني: ٤٧.

(٤) ينظر: تهذيب التهذيب للعسقلاني: ١٠، ٤٤٩ مناقب الإمام أبي حنيفة للذهبي:١١، الأئمة الأربعة للشرباصي:٢٢.

يسار الهلالي، وعاصم بن كليب بن شهاب الكوفي، وعطاء بن يسار، والقاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود وغيرهم[١].

ولكن أكبرهم أثراً في نفس أبي حنيفة هو: حماد بن أبي سليمان الأشعري فقيه الكوفة المتوفى سنة عشرين ومائة إذ قال أبو حنيفة عنه (كنتُ في معدن العلم والفقه، فجالست أهله، ولزمت فقيها من فقهائهم) [٢].

وهو يقصد أنه عاش في بيئة علمية تموج بالعلم والفقه وتعمر بالبحث والنظر، ومن حوله أهل العلم يجالسهم ويباحثهم، وله أستاذ جليل هو حماد بن أبي سليمان[٣]، وتلقى عنه الفقه والحديث، وتلقى من الفقه عن إبراهيم النخعي والشعبي لكن ليس كمجالسة حماد[٤].

تلامذتهُ:

لقد منَّ اللهُ تعالى على الإمام – رحمه اللهُ تعالى– بتلامذة كبار لا يشق لهم غبار، وكانوا في العلوم جبالاً يقرر معهم المسائل، ويقعد القواعد وكانوا يحاورونه ويناقشونه ليستخلصوا منه عصارة أفكاره وآراءه، ويستفيدوا من علمه وما يستنبطه من مسائل بذكاء وحنكة وبأدلة دامغة، ومن هؤلاء: أبو يوسف القاضي، وزفر بن الهذيل، وابنه حماد بن أبي حنيفة، ومحمد بن الحسن الشيباني، ونوح بن أبي مريم المعروف بـ(نوح الجامع)، وأبو مطيع الحكم بن عبد الله البلخي، والحسن ابن زياد اللؤلؤي، وأسد بن عمرو القاضي[٥] ويحيى بن أبي زائدة، وحفص بن غياث، وحبان وقندل أبني علي،

(١) ينظر: مناقب الإمام أبي حنيفة للذهبي: ١١، أبو حنيفة النعمان للألباني: ٤٨– ٥٠.
(٢) ينظر: الخيرات الحسان للهيتمي: ٣٢، الأمة الأربعة للشرباصي: ٢٢.
(٣) ينظر: تأريخ بغداد للخطيب البغدادي: ١٣، ٣٣٣– ٣٣٤.
(٤) ينظر: الخيرات الحسان للهيتمي: ٣٢، الأئمة الأربعة للشرباصي : ٢٢
(٥) مناقب الأمام أبو حنيفة للذهبي : ١

والقاسم بن معن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، وداود الطائي، والفضل بن عياض وعبد الله بن مبارك وغيرهم [١].

مؤلفاتهُ:

كان الإمام أبو حنيفة – رحمه الله تعالى– عالماً موسوعياً وأستاذا ملماً بمختلف العلوم الشرعية والعربية، ولهذا تجده قد تناول مختلف العلوم وصنف في موضوعات شتى فقد صنف في علم الكلام والعقائد وعلوم الحديث واللغة فضلا عن كتابته في علم الفقه[٢] ورأى بعضهم أنه لا توجد الكتب الصحيحة النسبة إليه وأرى أنها له لكن كتبها عنهُ تلاميذته[٣] وأخرجوها ونسبوها إليه ومن أثاره:–

١- **الفقه الأكبر وهو كتاب لبيان العقيدة في عشرة أبواب**[٤]
٢- **كتاب الرد على القدرية.**
٣- **كتاب العالم والمتعلم.**
٤- **المسند في الحديث.**
٥- **رسالة إلى البتي قاضي البصرة.**
٦- **الفقه الأبسط رواية تلميذه أبي المطيع الحكم بن عبد الله البلخي.**
٧- **متن المقصود في الصرف**[١].

---

(١) يروى أن الذين لازموا الإمام ورووا عنه يربوا عددهم على مائة شخص ذكرهم الحافظ أبو الحجاج المزي في تهذيب الكمال– ينظر: مناقب الإمام أبو حنيفة للذهبي: ١١، الأئمة الأربعة للشرباصي: ٢٧

(٢) ينظر هدية العارفين للبغدادي : ٦، ٤٩٥، الأئمة الأربعة للشرباصي: ٢٠ .

(٣) ينظر: تأريخ الأدب العربي لبروكلمان:٣، ٢٣٧.

(٤) المصدر السابق: ٣، ٢٣٧

قراءاتهُ:

مثلما كان الإمام – رحمه الله تعالى – عالماً بمختلف العلوم الشرعية والعربية من فقه وعلم كلام وعلوم حديث ولغة فقد كان عالماً بالقراءات متأملاً بكتاب الله تعالى ومرجحاً قراءات معتمداً فيها على توجيهات وأسباب نقلية وعقلية وقد جاء في طرق عدة أنَّه أخذ القراءة عن الإمام عاصم أحد القراء السبعة[٢] ونسب إلى الإمام – رحمه الله تعالى– أنَّه اختار قراءات شاذة قرأ بها، وأنَّ من نسب إليه ذلك أعتمد على كتاب لشخص اسمه محمد بن جعفر الخزاعي ألفه في قراءات أبي حنيفة.

لكن العلماء ردوا ذلك، وظهر أن هذا الكتاب موضوع لا أصل له، وأبو حنيفة بريء مما نسب إليه، إذ هو أعقل وأدين من أن يعدل عن القراءات المتواترة إلى قراءات شاذة ولا وجه لكثير منها[٣]

ومن خلال متابعتي لقراءات أبي حنيفة وجدت أنَّ له قراءات كثيرة منها ما تفرد بها ولم يقل غيره بها ومنها ذكرها غيره و سأتناول بعضا من قراءاته على سبيل المثال.

فمن هذه القراءات قوله تعالى في سورة البقرة ﴿أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ [٤] فقد قرأها ﴿أن تُتم الرِّضاعة﴾ [٥]

---

(١) يذكر أهل التراجم أنَّ هذا المتن وهو (متن المقصود في الصرف) منسوب أليه لكن الإمام محمد بن بير علي البركوي جزم في نسبة الكتاب للإمام ونص في كتابه الموسوم (إمعان الأنظار على المقصود) على ذلك .

ينظر: كشف الظنون للحاجي خليفة: ٢، ١٨٠٦– ١٨٠٧، هدية العارفين للبغدادي: ٦، ٢٥٢، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان :٣، ٢٤٤ .

(٢) ينظر الخيرات الحسان للهيتمي: ٧٢ .

(٣) ينظر: المصدر السابق: ٧٢

(٤) سورة البقرة آية :٢٣٣

(٥) ينظر الكشاف للزمخشري:١، ١٤١، مفاتيح الغيب للرازي: ٢، ٢٦٤، البحر المحيط لأبي حيان: ٢، ٢١٣

ومنها قوله تعالى في سورة يونس ﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ [١] فقد قرأ بجمع بدنك ((بأبدانك))[٢] ومن قراءاته قوله تعالى في سورة العنكبوت ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٣] فقد قرأ ((وإبراهيمُ)) [٤] –بضم الميم– وقراءة حفص بفتح الميم. وهناك قراءات أخرى[٥] لا يسع المجال لذكرها جميعها.

صفاتهُ:

سأتناول صفاته من الناحيتين الحسية والمعنوية.

أما صفاته الحسية فقد كان رجلاً ربعة، ليس بالطويل ولا بالقصير، وكانت تعلوه سمرة، وكان من أحسن الناس منطقاً، ومن أحلاهم نغمة، حسن الهيئة والثياب، طيب الريح حتى يعرف بطيبه إذا أقبل وإذا خرج من داره، وكان كثير التعطر، مبسوط اليد في النفقة[٦].

أما صفاته المعنوية فقد (اتصف أبو حنيفة بصفات تجعله في الذروة العليا بين العلماء، فقد أتصف بصفات العالم الحق الثبت الثقة، البعيد المدى في تفكيره، المتطلع إلى الحقائق، الحاضر البديهة التي تسارع إليها الأفكار)[٧].

---

(١) سورة يونس آية: ٩٢

(٢) ينظر الكشاف للزمخشري : ٢، ٢٥٢، البحر المحيط لأبي حيان: ٥، ١٨٩

(٣) سورة العنكبوت آية ١٦.

(٤) ينظر: الكشاف للزمخشري: ٣، ٢٠١، مفاتيح الغيب للرازي: ٢٥، ٤٣، البحر المحيط لأبي حيان: ٧، ١٤٥ .

(٥) منها قوله تعالى في سورة الأنبياء آية ٨٠ ((لنحصنكم)) وسورة الأنبياء آية ٩٥ (وُحرم) وسورة يس آية ٩ (فأغشيناهم)، وسورة الجاثية آية ٢٣ (غشوة).

(٦) ينظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ١٣، ٣٣٠، الخيرات الحسان للهيتمي: ٦٧، الأئمة الأربعة للشرباصي: ٥٧ – ٥٨.

(٧) أبو حنيفة النعمان للألباني: ١١٠.

لقد كان – رحمه الله تعالى– ضابطاً لنفسه، مستولياً على مشاعره، لا تعبث به الكلمات العابثة، ولا تبعده عن الحق العبارات النابية.

كان مرة ينافس في مسالة أفتى فيها واعظ العراق وذو المكانة بين أهله الحسن البصري، فقال: أخطأ الحسن، فقال له رجل: أنت تقول أخطأ الحسن يا ابن الزانية؟ فما تغير وجههُ ولا تلون، ثم قال: أي والله أخطأ الحسن، وأصاب عبد الله ابن مسعود، وكان يقول: من ضاق بنا صَدرُه فإنَّ قلوبنَا قد اتسعت لهُ [١]

ومن صفاته أنه أوتي استقلالا في تفكيره جعله لا يفنى في غيره، ولاحظ ذلك عليه شيخهُ حماد بن أبي سليمان، فقد كان ينازعه النظر في كل قضية لا يأخذ فكرة من غيره أن يعرضها على عقله، أو استقلال فكره هو الذي جعله يرى ما يرى حراً غير خاضع إلا لنص من كتاب أو سنة أو فتوى صحابي.

أما التابعي فله أن ينظر في قوله ويخطئه ويصوبه؛ لأنَّ رأيهُ ليس واجب التقليد، فقد كان يعيش في وسط شيعي وهو الكوفة، والتقى بأئمة آل البيت في عصره: كزيد بن علي، ومحمد الباقر، وجعفر الصادق وعبد الله بن حسن، واحتفظ برأيه في كبار الصحابة، مع عظيم ميله إلى العترة النبوية ومحبته لهم، واحتماله العذاب في سبيلهم[٢].

جاء في كتاب الإنتقاء لابن عبد البر ما نصه: (قال سعيد بن أبي عروبة: وقدمتُ الكوفة فحضرت مجلس أبي حنيفة، فذكر يوماً عثمان بن عفان فترحم عليه، فقلت له: وأنت يرحمك الله ما سمعت أحداً في هذا البلد يترحم على عثمان بن عفان غيرك)[٣].

هذا هو الفكر المستقل الخالي من التعصب والتطرف الذي لا يخضع للعامة ولا يفنى في الخاصة، ولا يؤثر فيه الحب والبغض.

وكان – رحمه الله تعالى– عميق الفكرة بعيد الغور في المسائل لا يكتفي بالبحث في ظواهر الأمور والنصوص بل يسير في البحث عن عللهِ وغاياته غير متوقف ولا

---

(١) ينظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ١٣، ٣٥٢.

(٢) ينظر: أبو حنيفة النعمان للألباني: ١١٢.

(٣) الإنتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء للنمري: ١٣٠.

وان. وكان حاضر البديهة، تجيئه أرسال المعاني متدافعة في وقت الحاجة إليها فلا تحتبس فكرته، ولا يغلق عليه في نظر، ولا يفحم في جدال ما دام الحق في جانبه، وعنده من الأدلة ما يؤيده، وكان واسع الحيلة يعرف كيف ينفذ إلى ما يفحم خصمهُ من أيسر سبيل، وله في ذلك غرائب ومدهشات قد امتلأت بها كتب المناقب والتراجم وكتب التأريخ التي تصدت لبيان حاله وهي كثيرة [١].

وسأذكر على سبيل المثال لا الحصر واحدة منها:

(يروى أنَّ رجلا مات وأوصى إلى أبي حنيفة وهو غائب، وارتفع إلى ابن شبرمة فذكر ذلك له، وأقام أبو حنيفة البينة أنَّ فلاناً مات وأوصى إليه، فقال ابن شبرمة: يا أبا حنيفة تحلف أنَّ شهودك شهدوا بحق؟ قال: ليس عليَّ يمين، كنت غائباً، قال: ضلّت مقاييسك!! قال أبو حنيفة: ما تقول في أعمى شجّ فشهد الشاهدان بذلك. أعلى الأعمى أنْ يحلف أنَّ شهوده شهدوا بالحق وهو لم ير؟ فحكم له بالوصية وأمضاها)[٢].

وكان أبو حنيفة – رحمه الله تعالى– مخلصاً في طلب الحق، وتلك هي الصفة المثلى التي رفعتهُ، ونورت قلبه، وأضاءت بصيرته بالمعرفة. فإنَّ القلب المخلص الذي يخلو من الغرض ودور النفس والهوى في بحث الأمور وفهم المسائل، يقذف الله فيه نور المعرفة فتزكو مداركه ويستقيم فكره.

ولقد خلّص نفسه – رحمه الله تعالى– من كل شهوة إلا الرغبة في أدراك الصحيح وعلم أن هذا الفقه دين أوفهم في الدين لا يطلبه من غلبت عليه فكرة، ولم يجعلْ نفسه تسير إلا وراء الحق وحده وما يهدي، وسواء عليه أنْ يكون غالباً أو مغلوبا بل هو الغالب ما دام يصل إلى الحق، ولو كان الذي أقنعه به خصومة في الجدل والمناظرة، وكان لإخلاصه لا يفرض في رأيه أنه الحق المطلق الذي لا يشك فيه بل كان يقول: قولنا هذا رأي، وهو أحسن ما قدرنا عليه، فمن جاءنا بأحسن من قولنا فهذا أولى بالصواب[٣].

---

(١) ينظر أبو حنيفة النعمان للألباني: ١١٣ – ١١٤ .

(٢) أبو حنيفة النعمان للألباني: ١١٤.

(٣) ينظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي : ١٣، ٣٥٢ .

هذا غيض من فيض صفات هذا العالم الجليل، هذه الصفات هي التي جعلته على قدر كبير من الاحترام والتقدير، ومتابعة أهل زمانه له بل حتى بعد زمانه إلى وقتنا الحاضر وإلى أنْ يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

وفاتــهُ:

توفي أبو حنيفة – رحمه الله تعالى– شهيداً مسقياً عام خمسين ومائة للهجرة، وله سبعون سنة ويذهب العلماء بأنّهُ مات بالسجن ببغداد(١).

وهناك رواية غريبة تقول إنَّه توفي في عام واحدٍ وخمسين ومائة(٢) ورواية ثالثة تقول: إنه توفى في عام ثلاثة وخمسين ومائة (٣) والصحيح هو القول الأول.

ودفن أبو حنيفة – رحمه الله تعالى– في الجانب الشرقي في بغداد، في مقبرة الخيزران، وقبره هناك ظاهر معروف– رضي الله عنه–(٤).

(١) ينظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي:١٣٠، ٤٢٠، سير أعلام النبلاء للذهبي: ٥، ٢٢٩. تهذيب التهذيب للعسقلاني: ١٠، ٤٥١. هدية العارفين للبغدادي: ٦، ٤٩٥

(٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي : ١٣، ٤٢٠، مناقب الإمام أبي حنيفة الذهبي : ٣٠ .

(٣) ينظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي : ١٣، ٤٢٢ . الخيرات الحسان للهيتمي: ٧٥.

(٤) ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي : ٥، ٢٢٩، هدية العارفين للبغدادي : ٦، ٤٩٥ .

المبحث الثاني

(علاقة الفقه باللغة العربية)

حاجة الفقيه إلى اللغة العربية

ما من شك في أنَّ الفقه الإسلامي قانون يحكم الناس، ويحدد لهم تصرفاتهم من أقوال وأفعال وتصرفات، واللغة العربية أداة لفهم ذلك القانون، وتلك الأدلة التي وردت بهذه اللغة، ولذا جاءت التشريعات بأحكام موكولة إلى اصطلاح اللغة وما تعنيه العربية من مفاهيم.

وقد تطرق علماء الأصول والفقه واللغة إلى ذلك بشكل جليٍّ فهذا ابن فارس اللغوي تجد في كتابه (الصاحبي) قد عقد باباً بعنوان (القول في حاجة أهل الفقه والفتيا إلى معرفة اللغة العربية)[١] فتراه يقول (إنَّ علم اللغة كالواجب على أهل العلم لئلا يحيدوا في تآليفهم أو فتياهم عن سنن الإستواء) [٢]

ويقول أبن جني في كتاب الخصائص (ذلك أنَّ أكثر من ضل من أهل الشريعة عن القصد منها، وحاد عن الطريقة المثلى إليها، فإنما استهواه واستخفه ضعفه في هذه اللغة الشريفة التي خوطب الكافة بها.....) [٣]

ثم يقول (ولو كان لهم أنس بهذه اللغة الشريفة أو تصرف فيها أو مزاولة لها لحمتهم السعادة بها ما أصارتهم الشقوة إليه بالبعد عنها) [٤]

كما أنَّ الفراء يرى أنَّ النظر الصحيح في اللغة العربية يساعد على فهم أكثر العلوم[٥]

---

(١) ألصاحبي لابن فارس: ٥٠.

(٢) المصدر السابق : ٥٥

(٣) الخصائص لابن جني : ٣، ٢٤٥-٢٤٦ .

(٤) المصدر السابق : ٣، ٢٤٦ .

(٥) ينظر:معجم الأدباء لياقوت : ١، ١٥ .

ويروى أنَّ أبا عمر الجرمي مكث ثلاثين سنة يُفتي الناس في الفقه من كتاب سيبويه ذلك أنَّه كان يعلم حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم– فلما علم كتاب سيبويه تفقه في الحديث، إذ كان كتاب سيبويه يتعلم منه النظر والتفتيش[١] من هنا يتبين لنا أنَّ اللغة العربية وبخاصة النحو والصرف من المواد التي تقوم عليها علوم الشريعة، فهي أحدى المواد التي يقوم عليها علم أصول الفقه، ولما كان الفقه يبحث في الأحكام الجزئية المستنبطة من أدلتها التفصيلية[٢] فإنَّ النحو أحد مواد بنائه؛ لأنَّ موضوع أصول الفقه البحث في تلك الأدلة التفصيلية، وقد كان النحو من مقوماته، والفقه هو تخريج الفروع على تلك الأدلة فكان من متممات بناءه علم النحو[٣]؛ لأنَّ ما كان مادة للأصل كان مادة للفرع، وقد صرح الزمخشري بهذه الرابطة بقوله:

(ويرون الكلام في معظم أبواب أصول الفقه ومسائلها مبنياً على علم الإعراب)[٤] ويقصد بعلم الإعراب علم النحو، وإنما خصوه بهذا الاسم؛ لأنَّ الإعراب أجلى ظاهرة فيه، وأبرز وأدق مسألة من مسائلهِ فكأن النحو وضع من أجل الإعراب.

ولهذا ينبغي للعالم المجتهد أن يكون متعمقاً في علم اللغة العربية وبخاصة نحوها وصرفها ألفاظها وتراكيبها؛ لأنَّ الإطلاع والتأمل والتعمق للمجتهد في الأحكام الشرعية أثر بليغ في استخراج تلك الأحكام؛ فالنحو والصرف يمنح المجتهد ملكة قوية في اجتهاده، ويفتح له أفاقا واسعة في استنباط الفروع من أصولها، فهو علم مرتبط بتوجيه التركيب

---

(١) طبقات النحويين واللغويين للزبيدي: ٧٥.

(٢) الفقه لغة: الفهم، واصطلاحا: (هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية) المستصفى في علم أصول الفقه للغزالي: ١، ٤، الإحكام في أصول الإحكام للآمدي: ١، ٦٠٥.

(٣) ينظر: المنخول من تعليقات الأصول للغزالي: ٤، الكوكب الدري في تخريج الفروع الفقهية على المسائل النحوية للأسنوي: ٥٤– ٥٦.

(٤) شرح المفصل لابن يعيش: ١، ٨.

اللفظي، وبيان دلالته التي تختلف من تركيب إلى أخر، وكم من المسائل الشرعية يختلف الحكم فيها تبعاً لاختلاف التركيب ومدلوله[١]

الاحتجاج باللغة العربية على الأحكام الشرعية

لقد دأب علماؤنا على جعل الاجتهاد باللغة العربية من نحو ولغة على الأحكام الشرعية أمراً أساسياً؛ فمعظم أسباب الإختلاف في أحكام الفروع الفقهية قائمة على أساس لغوي مما يدعو للرجوع إلى اللغة رجوعا كليا في توجيه قصد الإنسان لإصدار الحكم الشرعي على تصرفه.

وفي صحة الإحتجاج باللغة العربية للأحكام الشرعية تفصيل نذكره فيما يأتي: إنَّ ما في الشريعة الإسلامية من أحكام ينقسم على قسمين[٢]:

القسم الأول: مما لا مجال فيه للاجتهاد، ولا يعتمد على لغة يحتج بها له، وذلك يتمثل بالعقيدة الإسلامية كالإيمان بالله تعالى وتوحيده والإيمان باليوم الأخر، وما فيه من نعيم أو عذاب، وما إلى ذلك من أمور العقيدة فليس شيء منها يمكن الاحتجاج لها بشيء من لغة العرب؛ لأنَّ موضوعها غير اللغات.

وكذلك الأحكام التي قامت على أدلتها القطعية الورود والدلالة التي لا خلاف فيها كوجوب الصلاة والصيام وغيرهما، فلا يحتج لها باللغة لذا فإنَّ العرب وغيرهم فيها سواء.

القسم الثاني: ما كان قابلاً للاجتهاد، وقام فيه خلاف بين الفقهاء من الفروع الفقهية ففي الإحتجاج له باللغة العربية مذهبان[٣] :

---

(١) ينظر: أثر الدلالة النحوية واللغوية في استنباط الأحكام من آيات القرآن التشريعية للدكتور عبد القادر السعدي: ٣٩.

(٢) ينظر: الكوكب الدري في تخريج الفروع الفقهية على المسائل النحوية للأسنوي:١٠.

(٣) ينظر: الصاحبي لابن فارس: ٤٩، الأشباه والنظائر في الفقه للسيوطي:٩٤، المزهر للسيوطي: ١، ٢٥٨.

المذهب الأول: يرى أن اللغة العربية وحدها كافية للاحتجاج بها، والرجوع إلى قواعدها وأساليبها في إصدار الحكم الشرعي من مصدريه الكتاب والسنة عند الإفتاء أو القضاء، ولا ينظر في ذلك إلى حالة المكلف العلمية من معرفتهِ باللغة العربية أو عدم معرفته، ولا ينظر أيضا إلى العرف المتعارف عليه وقت تصرف المكلف أو مكانه، وإنما يحتكم في ذلك إلى اللغة العربية، وهذا المذهب لا يمثل رأي جمهور الفقهاء، وإنَّما يمثل رأي بعض العلماء الذين تعمقوا في دراسة العربية مكتفين بها لفهم كتاب الله وسنة رسوله واستخراج الأحكام منها بها مع إصدار الأحكام والإفتاء بما تقتضيه قواعدها.

أما المذهب الثاني: فيرى أنَّ اللغةَ العربية يحتج بها لإصدار الحكم الشرعي في الفروع الفقهية بشرط أنْ يكون الشخص عالما باللغة العربية وقواعدها مفرقاً في المعاني إذا أختلف الإعراب.

أما الجاهل في ذلك فلا يؤاخذ بتصرفاته على أساس قواعد اللغة العربية، وإنما يحكم عليه بما جرى عليه العرف وحكمت فيه العادة[1].

وأحسبُ أنَّ المذهب الثاني هو الذي يمثل رأي كثير من الفقهاء؛ لأنه من الأهمية بمكان التفريق والتمييز بين العالم باللغة العربية بنحوها وصرفها وألفاظها ومعانيها والجاهل فيها.

أبو حنيفة وعلاقته باللغة العربية

من المعلوم أن اللغة العربية لغة حية ذات نطاق واسع في الدلالة والمعاني ولم تتسم بالجمود؛ فكان اختيارها للتشريع الإسلامي اختياراً مناسباً.

ولقد بلغ من مكانة هذه اللغة وأهميتها في الشريعة أنها أصبحت القاعدة المتينة التي تقوم عليها الأحكام فما من علمٍ (من العلوم الإسلامية فقهها وكلامها وعلمي تفسيرها وأخبارها، إلا وافتقاره إلى العربية بَيْن لا يدفع ومكشوف لا يتقنع)[1].

---

(١) ينظر الكوكب الدري للأسنوي: ١٠-١١.

لأنَّ (معاني هذه العلوم لا تعرف على الحقيقة إلا بمعرفة ألفاظها، الموصلة إلى معرفة ألفاظها معرفة علم العربية) [٢] .

ومن هنا أشترط العلماء ولاسيما الأصوليون في المجتهد أنْ يكون على جانب كبير من التضلع في دقائق قواعدها وفروعها وتطبيقاتها [٣]

ولما كان الإمام أبو حنيفة – رحمه الله تعالى– عَلماً من أعلام هذه الأمة الإسلامية وإماماً لا يضاهى في العلوم الشرعية وبخاصةٍ الفقه ويكفي شهادة العلماء على علمه وتفتح عقله ونباهته وسعة افقه.

فهذا الإمام الشافعي – رحمه الله تعالى– قال في حقهِ:(الناسُ عيالٌ على أبي حنيفة في الفقهِ)[٤].

(وقال علي بن عاصم: لووزن علم الإمام أبي حنيفة بعلم أهل زمانه، لرجح عليهم، وقال حفص بن غياث: كلامُ أبي حنيفة في الفقه أدق من الشعر، لا يعيبه إلا جاهل، وقال أبن المبارك: أبو حنيفة أفقه الناس).[٥]

فكان من الطبيعي أن تكون له دراية وتفهم في علوم اللغة العربية، ولاسيما النحو والصرف واللغة، بل لو رجعنا إلى أرائه وما ذهب إليه من توجيهات في كتاب الله تعالى، وتوجيهات في المسائل الفقهية تراه يرجع في أكثر الأحيان إلى اللغة العربية وقواعدها وتجده يستنبط هذه الأحكام الشرعية معتمداً على اللغة بشكل جليٍّ مستحضراً دقائقها متضلعاً بأصولها وفروعها؛ فلو لم تكن عنده هذه الدراية وذلك التفحص لدى الإمام الأعظم – رحمه الله تعالى– بالدرجة الأساس إلى اللغة وعلومها لما استطاع أنْ يستنبط كثيراً من الأحكام التي سار عليها كثير من الناس منذ ذلك الوقت إلى يومنا الحاضر،

---

(١) شرح المفصل لابن يعيش: ١، ٨

(٢) المصدر السابق : ١، ٨

(٣) ينظر المصدر السابق : ١، ١١، أثر الدلالة النحوية واللغوية في استنباط الأحكام للسعدي :٢٦ .

(٤) ينظر مناقب الإمام أبي حنيفة للذهبي : ١٩ .

(٥) سير أعلام النبلاء للذهبي : ٥، ٢٢٩، ينظر تهذيب التهذيب للعسقلاني : ١٠، ٤٥٠ .

ولولا فهمه ورجوعه إلى علوم اللغة العربية لما استطاع أن يبني مجداً زاهراً، ومذهباً معتمداً من المذاهب الإسلامية الفقهية الذي تبعه ملايين الناس في أغلب البلدان الإسلامية.

وبهذا يمكن أن يُرد على من أتهَمه بأنَّه لا يعرف العربية بشكل دقيق، وأنَّهُ ليس بمجتهد.

فقد نقل الخطيب البغدادي رواية تبين أنَّ الإمام أبا حنيفة – رحمه الله تعالى– لم يكن له علم بالنحو فقال (أخبرنا العتيقي حدثنا محمد بن العباس حدثنا أبو أيوب سليمان بن إسحاق الجلاب قال: سمعت إبراهيم الحربي[1] يقول: كان أبو حنيفة طلب النحو في أول أمره فذهب يقيس فلم يجيء، وأراد أنْ يكونَ فيه أُستاذاً فقال: قلب وقلوب وكلب وكلوب. فقيل له: كلب وكلاب. فتركه ووقع في الفقه فكان يقيس، ولم يكن له علم بالنحو فسأله رجل بمكة فقال له رجل شجَّ رجلاً بحجر فقال: هذا خطأ ليس عليه شيء، ولو أنَّه حتى يرميه بأبا قبيس لم يكن عليه شيء)[2].

كما قال عنه الإمام الغزالي(وأما أبو حنيفة فلم يكن مجتهداً؛ لأنَّهُ كان لا يعرف اللغة وعليه يدل قوله: ولو رماه بأبو قبيس) [3]

والذي يبدو لي – والله أعلم– أنَّ ما وجه إلى أبي حنيفة مبعثهُ التعصب وعدم التثبت والتدقيق والحكم بالهوى والعاطفة مجرداً عن الواقع؛ لأنَّ واقع أبي حنيفة لم يكن كما ذكروا فقد أسلفتُ في بداية هذا المبحث كيف برع الإمام –رحمه الله تعالى– بعلم الفقه وكيف كان مجتهداً، وهذا لا يكون إلا لرجل له علم ودراية وتفحص في علوم اللغة العربية، ولاسيما النحو والصرف واللغة.

---

(١) هو إبراهيم بن إسحاق إبراهيم بن بشر بن عبد الله أبو إسحاق الحربي، من علماء الحنابلة توفي سنة ٢٨٥هـ– ينظر طبقات الحنابلة لابن أبي يعلي: ١، ٨٦–٩١ .

(٢) تأريخ بغداد للخطيب البغدادي: ١٣، ٣٣٢، ينظر دراسات في اللغة واللهجات والأساليب يوهان فك: ٧٣.

(٣) المنخول من علم الأصول للإمام الغزالي: ٤٧١، وذلك حين سئل عمن ضرب رأس رجل بصخرة فقتله، اتقيده به ؟ قال: لا ولو ضرب رأسه بابا قبيس ينظر البيان والتبيين للجاحظ: ٢، ٢١٢.

وأما ما روي عنهُ من أنَّه قال ((ولو رماه بأبو قبيس)) فقد رويت فيها روايتان بصيغة ((حتى يرميه بأبا قبيس)) وصيغة ((ولو رماه بأبو قبيس)).
وهاتان الصيغتان– إن صحتا عن أبي حنيفة– فإنَّ لكل صيغة تخريجا نحويا على مقتضى سنن العرب وكلامهم [١].

أما الرواية الأولى وهي: ((حتى يرميه بأبا قبيس)) فإنَّها تحمل على لغة من يقصر الأسماء الخمسة مطلقاً وهي على رأي الكوفيين – وهو منهم – وهذا الرأي يلزم الأسماء الخمسة الألف في أحوال الرفع والنصب والجر[٢].
ويستأنس لذلك بما ورد عن العرب، ومنه قول الشاعر:

إنَّ أباها وأبـــا أبـــاها قد بَلَغَا في المجد غايتاها [٣]

وليس هذا فحسب بل جعل ابن مالك ومن وافقه هذه اللغة أشهر من لغة النقص في هذه الأسماء إذ قال في خلاصته:

أبٌ أخٌ كـــذاك وهنٌ والنقصُ في هذا الأخير أَحْسَنُ
وفي أبٍ وتاليه يَنْـدر وقصـرها من نقصهنَّ أشهرُ [٤]

علما بأنَّ الإمام الغزالي – رحمه الله تعالى– رجع عما قاله في أبي حنيفة أخر حياته[٥]

---

(١) ينظر: أثر الدلالة النحوية واللغوية في استنباط الإحكام للسعدي: ٢٨ .
(٢) شرح المفصل لابن يعيش: ١، ٥٣، شرح الكافية الشافية لابن مالك: ١، ١٨٤، شرح أبن عقيل على ألفية أبن مالك: ١، ٥٠.
(٣) قائله أبو النجم الراجز بن قدامه العجلي، وقيل: لرؤبة بن العجاج ينظر: شرح المفصل لابن يعيش: ١، ٥٣، شرح أبن عقيل على ألفية أبن مالك: ١، ٥١، شرح شواهد المغني للسيوطي:١، ١٢٨.
(٤) شرح أبن عقيل على ألفية أبن مالك: ١، ٤٨
(٥) ينظر: المنخول من علم الأصول للغزالي : ٤٧١

وأما الرواية الأخرى وهي (بأبو قبيس) فقد خرجها العلماء على الحكايــة؛ لانَّ (أبو قبيس) علم على الجبل المعروف بمكة[١] وهو مركب أضافي.

وقد أجاز يونس[٢] حكاية المضاف كما نقل ذالك عنه أبن يعيش [٣] والسيوطي[٤]

وقال أبن عصفور:[٥] (وبعض العرب يحكي سائر المعارف)[٦].

وأما ما ورد عنه من أَنَّهُ أراد قياس جمع (كلوب) الذي مفرده (كلب) علــى (قلوب) الذي مفرده (قلب) فلم يستقم عنده[٧].

ومع أننا نستبعد أنْ يقع أبو حنيفة في مثل هذا الخطأ، نــرى أنَّ وقوعــه – إن كان قد وقع– لا يصح على ضعفه في العربية، وعدم تمكنه فيها حتى يكون ســبباً فــي انصرافه عنها فلربما كان ذلك سهواً أو سبق لسان؛ لأننا وجدنا كثيراً من فطاحل النحــاة يقعون في الخطأ ولا يغير ذلك في فهمهم للغة.

وقد نقل ابن جني في الخصائص صورة واضحة من تلك الأخطاء حين عقــد فصلاً خاصاً سماه (باب في سقطات العلماء) [٨].

وكذالك فعل الجاحظ في البيان والتبيين تحت باب سماه (باب اللحن) [١].

---

(١) الصحاح للجوهري: ٣، ٩٦٠ ماده (قبس)، لسان العرب لابن منظور: ٦، ١٦٨ مادة (قبس)

(٢) هو أبو عبد الرحمن يونس بن حبيب الضبي النحوي، المتوفى ١٨٢ هــ ينظر: وفيات الأعيان لابن خلكان: ٧، ٢٤٤، طبقات النحوين واللغويين للزبيدي:٥١.

(٣) هو موفق الدين أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش المتوفى بحلب ٦٤٣هــ. ينظر: وفيــات الأعيــان لابن خلكان: ٧، ٤٦ بغية الوعاة للسيوطي: ٢، ٣٥١ – ٣٥٢.

(٤) ينظر: شرح المفصل لأبن يعيش : ٤، ١٩، همع الهوامع للسيوطي: ٢، ١٥٣، أثر الدلالة النحويــة واللغوية لعبد القادر السعدي: ٢٨ .

(٥) هو علي بن مؤمن بن محمد بن علي أبو الحسين بن عصفور الحضرمي الاشبيلي النحــوي المتــوفى ٦٧٢هــ ينظر بغية الوعاة للسيوطي: ٢، ٢١٠

(٦) المقرب لأبن عصفور: ١، ٢٩٨ .

(٧) الخصائص لأبن جني: ٣، ٢٨٢

(٨) المصدر السابق:٣، ٢٨٢

إذاً فأبو حنيفة الرجل الذي يحسن القول ويتقن التعبير نجده مبرأ مما قيل ونسب إليه من أنَّهُ غير عالم بالعربية على الرغم من أنَّهُ غير عربي بل لقد كان على جانب كبير من التعمق في أصولها.

ومما يؤيد ذلك أنه نسب إليه بعض الكتب المصنفة في اللغة منها متن المقصود في الصرف [٢].

وسأتناول نماذج مما وجه به الإمام أبو حنيفة – رحمه الله تعالى– بعض الأحكام الشرعية وما استنبطهُ منها معتمدا على قواعد اللغة العربية نحواً أو صرفا أو لغةً.

المبحث الثالث

(التوجيه النحوي واللغوي)

توجيهه النحوي للمسائل الفقهية

في ما يأتي بعض النماذج التي تبين كيف استنبط الإمام أبو حنيفة –رحمه الله تعالى– بعض الأحكام الفقهية معتمدا على قواعد اللغة العربية ولاسيما قواعد النحو والصرف وقد وجدنا ذلك واضحا في بعض المسائل لذلك سأتناول بعضاً منها على سبيل التمثيل لا الحصر:

---

(١) البيان والتبيين للجاحظ: ٢، ٢١٠

(٢) ينظر: أثر الدلالة النحوية واللغوية للسعدي: ٢٩

١- ففي قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾(١). بينت هذه الآية الكريمة أنَّ اليد من الأعضاء الواجب غسلها في الوضوء، وقد حصل خلاف بين العلماء في دخول المرفق في وجوب الغسل.

فذهب الإمام أبو حنيفة(٢) –رحمه الله تعالى– إلى وجوب إدخال المرفق في الغسل وهو مذهب الجمهور(٣) بينما ذهب غيره إلى عدم وجوب إدخال المرفق في الغسل(٤).

حجة ابي حنيفة –رحمه الله– في وجوب إدخال المرفق "إلى" في قوله تعالى (إلى المرافق) دالة على انتهاء الغاية سواء أكانت زمانية أم مكانية(٥) وأنَّ ما بعد "إلى" داخل في حكم ما قبلها، وتقرير أكثر النحاة عدم دخول ما بعد الغاية فيما قبلها ليس حكما عاماً في كل موطن فهي هنا مما تدخل فيه؛ لأنَّ من النحاة مَنْ يرى دخوله إذا كان من جنسهِ، ومنهم سيبويه، والمرفق من جنس اليد، ولذلك لم يدخل ما بعدها فيما قبلها في قوله تعالى ﴿ثُمَّ أَتِمُّواْ الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾(٦)؛ لانَّ الليلَ من جنس النهار(٧).

---

(١) سورة المائدة: آية ٦

(٢) وتبعه في ذلك مالك والشافعي وعطاء، وإسحاق بن راهويه ينظر: أحكام القرآن للجصاص: ٢، ٣٤٠-٣٤١.

(٣) أحكام القرآن للجصاص ٢، ٣٤٠- ٣٤١ بداية المجتهد لابن رشد: ١، ١٠

(٤) ينظر: بداية المجتهد لابن رشد: ١، ١٠

(٥) الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي:٣٨٥

(٦) سورة البقرة: آية ١٨٧

(٧) ينظر: المغني اللبيب لابن هشام:١٠٤، أثر الدلالة النحوية واللغوية للسعدي:١٠٤

كما أنَّ من النحاة من يرى دخول ما بعد (إلى) في حكم ما قبلها مطلقا سواءاً أكان من جنسه أم لا. وهذا ما يقوي ما ذهب إليه أهل هذا الرأي من وجوب دخول المرفق في الغسل[١].

ومما يؤيد وجوب دخول المرفق أن (إلى) قد ترد في اللغة بمعنى (مع) [٢] فعلى هذا تكون المرافق داخلة مع الأيدي في الغسل وقد صرح ابن يعيش بذلك. إذ قال (فأما قول من جعلها بمعنى مع وبمعنى غيرها من الحروف فيحتج بقوله تعالى:﴿ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ ﴾ وقوله تعالى:﴿ وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ ﴾ ويحمل عليه قوله تعالى:﴿ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ ﴾[٣]

٢- وفي مسالة مسح الرأس في الوضوء وأن مسح الرأس من أركان الوضوء ذهب الإمام أبو حنيفة – رحمه الله تعالى- إلى أنَّ الواجب مسح ربع الرأس [٤] معتمدا بذلك على قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ﴾[٥].

وذهب آخرون إلى أنَّ الواجب مسح جميع الرأس[٦] أما أبو حنيفة فقد استدل على أنَّ الباءَ في قوله (برؤوسكم) تحمل معنيين :-

---

(١) ينظر: مغني اللبيب لابن هشام:١٠٤

(٢) ينظر: شرح المفصل لابن يعيش: ٨، ١٥

(٣) شرح المفصل لابن يعيش: ٨، ١٥.

(٤) ينظر: بدائع الصنائع للكاساني:١، ٤، بداية المجتهد لابن رشد: ١، ١١

(٥) سورة المائدة آية:٦

(٦) منهم الإمام مالك و احمد بن حنبل والإمام ابن تيمية، ينظر: المغني لابن قدامة ١، ٩٣ فتاوى ابن تيمية: ٢١، ١٢٣

اولهما: التبعيض، فتكون بمنزلة (من) التبعيضة[١] وقد ذهب إلى هذا المعنى الكوفيون والأصمعي وأبو علي الفارسي وابن مالك[٢] كقوله تعالى:﴿عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً﴾[٣]، أي: منها.

وإنَّما احتملت التبعيض في هذه الآية؛ لأنَّ قول القائل: مسحتْ بيدها الحائط يفهم منه أنَّ المسح إنَّما تحقق ببعض الحائط لا بجميعه فيكون المعنى: امسحوا بعض رؤوسكم.

وقد بينتْ السنة ذلك حيثُ ورد عن النبي – صلى الله عليه وسلم– أنَّهُ مسح في وضوءهِ على ناصيته، والناصية تعادل ربع الرأس[٤].

ثانيهما – الإلصاق وهو ما أجمع عليه النحاة[٥].

ولما كانت (الباء) في هذه الآية تحتمل هذا المعنى، وكان الواجب مسح ربع الرأس، وإنَّما قدر بالربع؛ لانَّ المسح آلته اليد، فإذا ألصقتْ بالرأس أخذت ربعهُ[٦].

٣- في مسالة الترتيب بين أعضاء الوضوء ذهب الإمام أبو حنيفة –رحمه الله تعالى– ومن معه[١] إلى عدم وجوب الترتيب[٢] لمن أراد التطهر للصلاة على

---

(١) الجنى الداني للمرادي:٤٣

(٢) ينظر: التسهيل لابن مالك:١٤٥، الجنى الداني للمرادي:٤٣، مغني اللبيب لابن هشام: ١٤٢

(٣) سورة الإنسان: آية ٦

(٤) ينظر: أثر الدلالة النحوية اللغوية للسعدي:١١٠

(٥) ينظر: الكتاب لسيبويه: ٤، ٢١٧، الجنى الداني للمرادي:٣٦– ٣٧، ارتشاف الضرب لأبي حيان: ٤٥٠.

(٦) ينظر: الجنى للداني للمرادي: ٣٦ – ٣٧، أثر الدلالة النحوية اللغوية للسعدي:١١٠.

الآية المذكورة أنفا وهي قوله تعالى﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ﴾(٣). في حين ذهب غيره إلى وجوب الترتيب(٤).

واحتج أبو حنيفة في عدم وجوب الترتيب في الوضوء بأنَّ جمهور النحاة ذهب إلى أنَّ الواو لا تفيد الترتيب بل هي لمطلق الجمع(٥) قال سيبويه:(وليس في هذا دليل على أنَّهُ بدأ بشيء قبل شيء، ولا بشيء بعد شيء)(٦) وقال ابن جني:(فمعنى الواو الإجتماع ولا دلالة فيها على المبدوء به)(٧).

أذن المقصود بذلك من الآية غسل جميع هذه الأعضاء من غير التفات إلى تقديم بعضها على بعض أو تأخيره(٨)

٤- وفي مسالة الإيلاء من الزوجة فقد ذهب الإمام أبو حنيفة – رحمه الله تعالى– إلى أنَّ من أقسم أن لا يطأ زوجته فتعد زوجته طالقة ويقع الطلاق بمجرد مضي المدة المحدودة بلا تخيير(٩) معتمدا على قوله تعالى ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَآؤُوا فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ{٢٢٦} وَإِنْ عَزَمُواْ الطَّلاَقَ فَإِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ

---

(١) وممن ذهب معه الى ذلك الثوري و داود الظاهري وبه قال أصحاب مالك المتأخرون، ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٦، ٩٨، بداية المجتهد لأبن رشد: ١، ١٦.

(٢) ينظر: الجامع لإحكام القرآن للقرطبي:٦، ٩٨ بداية المجتهد لابن رشد:١، ١٦

(٣) سورة المائدة: آية:٦

(٤) وهو رأي الشافعي واحمد بن حنبل، ينظر: بداية المجتهد لابن رشد:١، ١٦

(٥) ينظر: الجنى الداني للمرادي: ١٥٨

(٦) الكتاب لسيبويه:١، ٤٣٨

(٧) اللمع لابن جني:١٧٨

(٨) ينظر: اثر الدلالة النحوية واللغوية للسعدي:١٥٨

(٩) وكذلك قال: ابن مسعود وابن عباس و الأوزاعي، ينظر: المغني لابن قدامة:٧، ٥٥٣

عَلِيمٌ ﴾[١] في حين ذهب فريق أخر إلى أنَّهُ يخير بعد انقضاء الأشهر الأربعة بين الرجوع والطلاق؛ فإنْ طلق وقع طلاقه[٢].

واحتج العلماء بما رآه أبو حنيفة –رحمه الله تعالى– في الآية الكريمة بقوله ﴿فان فاءوا﴾؛ لأنَّ الفاء فيها للتعقيب. وهو أن لا يكون بين المعطوف والمعطوف عليه مهلة[٣]؛ فجعلوا التعقيب بين الرجوع والإطلاق من جهة، وبين الحلف من جهة أخرى فيكون الرجوع عقب اليمين، وقد جعلوا مدة التربص مدة لحصول الرجوع فيها واضمروا لـ﴿فاءوا﴾ متعلقا يدل على أنَّ الفيء يكون في تلك المدة ليتحقق التعقيب الذي تفيده الفاء والتقدير﴿ فإنْ فاءوا فيها﴾ [٤] معتمدين في هذا التقدير على قراءة ابن مسعود ﴿ فان فاؤا فيهن﴾، وقراءة أُبي ﴿فإن فاءؤا فيها﴾[٥]

ولما كان التعقيب بين الحلف والرجوع، فإن رجع في أثنائها يكون التعقيب وقد حصل، وإنْ لم يرجع فيها حتى مضت لم يتحقق التعقيب، وحينئذٍ تكون زوجته طالقة.

٥- في حكم مباشرة الرجل زوجته عند انتهاء الحيض فقد ذهب الإمام أبو حنيفة وأصحابه – رحمهما الله– [٦]. إلى جواز إتيان الزوجة قبل الإغتسال إذا انقطع الدم لتمام المدة القصوى المقررة، وهي عشرة أيام في حين ذهب الجمهور إلى انَّ المراد بها الاغتسال فلا يجوز وطء، المرأة الحائض عند أكمال مدة الحيض إلا بعد انقطاعه، واغتسالها منه [٧].

---

(١) سورة البقرة الآيتان : ٢٢٦ – ٢٢٧

(٢) وممن قال بذلك سعيد بن مسيب ومالك الشافعي, ينظر: المغنى لابن قدامة:٧، ٥٥٣

(٣) ينظر: الجنى الداني للمرادي: ٦١, همع الهوامع للسيوطي:٢، ١٣١

(٤) ينظر: أحكام القرآن للجصاص ١، ٣٦٠, اثر الدلالة النحوية اللغوية للسعدي:١٤٦ – ١٤٧

(٥) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي:٢، ٣٦٣, البحر المحيط لأبي حيان:٢، ١٨٢

(٦) ينظر: بداية المجتهد لابن رشد: ١، ٥٥.

(٧) وهذا ما ذهب إليه مالك والشافعي وأحمد ونسبه ابن تيمية إلى جمهور العلماء، ينظر: البيان في غريب إعراب القرآن لابن الانباري: ١، ١٥٥، مفاتيح الغيب للرازي: ٢، ٣٥٠، فتاوى ابن تيمية: ٢١، ٦٢٥.

فقد استنبط الفقهاء هذا الحكم من قوله تعالى﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾[١].

فقد اتفق الفقهاء على أن الحرف (حتى) في هذه الآية تأتي للغاية، وأنَّ حكم ما بعدها غير داخل فيما قبلها؛ لأنَّه ليس من جنسهِ، ذلك لا يعني أن النهي عن قربانها الوارد بقوله﴿ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ ﴾ ينتهي بطهارة المرأة التي هي غاية للمنع من القربان[٢].

وأقام الإمام أبو حنيفة وأصحابه – رحمهم الله– حجته على أمور منها:–

أ- أنَّ الله تعالى قال: ﴿ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ﴾ بتخفيف طاء الفعل، ويقال في اللغة: طهرت المرأة، إذا انقطع الدم عنها[٣]، لأنَّ الفعل لما جاء بصيغة الثلاثي كان المراد به هذا المعنى. ويقوي ذلك أنَّ العرب تطلق على المرأة حين انقطاع الدم عنها: طاهر بلا تاء التأنيث[٤]، وقد أطلقوا هذا الوصف عليها في حالة انقطاع دم حيضها، وبما أنَّ هذا الوصف مأخوذ من فعل ثلاثي فقد دل على أنَّ المراد ﴿ يَطْهُرْنَ ﴾ بالتخفيف انقطاع الدم[٥].

ب- يجوز أنْ يكون المراد بقوله ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ ﴾ فإذا طهرن، وقد ذكرنا أن طهرن دال على انقطاع الدم فيكون المعنى: فإذا طهرن بانقطاع دمهن

---

(١) سورة البقرة آية: ٢٢٢.

(٢) ينظر: اثر الدلالة النحوية واللغوية للسعدي: ١١٦

(٣) لسان العرب لابن منظور: ٤، ٥٠٤ مادة(طهر)

(٤) المذكر والمؤنث للفراء:٥٨

(٥) ينظر: أحكام القرآن للجصاص: ١، ٣٤٩

فأتوهن ولعلهم حملوا ذلك على تضمين تطهر معنى طهر، والتضمين وارد في اللغة[١].

٦- في من يحق لهم الإفطار قي شهر رمضان وأعطاء الفدية بدله في قوله تعالى ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٢]، فقد ذهب الإمام أبو حنيفة وغيره – رحمهم الله- إلى أن المقصود بقوله ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ العاجز والشيخ ومن لم يستطع الصيام فإنهم يفطرون ويطعمون في حين ذهب غيره[٣]. إلى أنَّ المراد بهذا الحكم المسافر والمريض المطيقين للصيام فيجوز لهما الفطر والإطعام مكانه؛ فهم مخيرون بين الصيام والإفطار وإذا أفطر أحدهم فعليه الفدية، وأنَّ هذا الحكم كان في بداية تشريع الصيام ثم نسخ بقوله تعالى:﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [٤].

لكنَّ الراجح ما ذهب إليه الإمام أبو حنيفة وغيره[٥]– رحمهم الله- فقد استدلوا على ذلك أنَّ الآية لا نسخ فيها بل جاءت لبيان حكم الرجل والمرأة اللذَيْنِ زالت طاقتهم عن الصيام، أو المريض الذي لا يرجى برؤه، فإنَّهم يفطرون ويطعمون إذا استمر عندهم عدم الطاقة على الصيام[٦].

---

(١) المصدر السابق: ١، ٣٤٩، أثر الدلالة النحوية اللغوية للسعدي:١١٨

(٢) سورة البقرة: آية ١٨٤

(٣) ينظر: أعراب القرآن للنحاس: ١، ٢٣٦، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٢، ٢٨٨، مفاتيح الغيب للرازي: ٢، ١٧٧.

(٤) سورة البقرة: ١٨٤.

(٥) وهذا ما ذهب إليه سعيد بن المسيب والاوزاعي وهو احد قولي الإمام الشافعي، ينظر: الهداية للمرغيناني: ١، ١٢٧، بداية المجتهد لابن رشد: ١، ٢٩٠، فقه الأمام الأوزاعي للجبوري:١، ٣٧٨.

(٦) ينظر: اثر الدلالة النحوية واللغوية للسعدي: ٢٩٢

والدليل على ذلك أنَّ قوله ﴿يُطِيقُونَهُ﴾ -بضم أوله- وهو رباعي وهي القراءة المتواترة التي اجمع عليها الجمهور[١]. من (أطاق) وهمزة (أطاق) على وزن (أفعل) من معانيها أنَّها تأتي للسلب[٢]. فمعنى﴿يُطِيقُونَهُ﴾ في هذه الآية: زالت طاقتهم عن الصيام.

ويقوي كون الهمزة فيه للسلب أن هذه القراءة حملت على تقدير (لا) النافية فيها قبل الفعل، أي: وعلى الذين لا يطيقونه[٣].

وقد ورد عن العرب حذف (لا) مع أرادتها كقول امرئ القيس:

فقلتُ يمينَ الله أبرحُ قاعداً ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي[٤].

أي : لا ابرح قاعداً .

وعلى هذا استنبط أبو حنيفة ومن معه أنَّ المراد بهذه الآية المريض والكبير والعاجز، والحامل والمرضع فيحق لهم الفطر إذا كانوا غير قادرين على الصيام، ومِنْ ثم تجب عليهم الفدية إن لم يتمكنوا من القضاء.

---

(١) ينظر: البحر المحيط لأبي حيان: ٢، ٢٨٨

(٢) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب لاسترابازي: ١، ٩١، إزالة القيود عن الفاظ المقصود في فن الصرف د. عبد الملك السعدي:١٠

(٣) البحر المحيط لأبي حيان: ٢، ٣٥، روح المعاني للألوسي: ١، ٣٧٠

(٤) ينظر ديوان امرئ القيس : ٣٢، البحر المحيط لأبي حيان:٢، ٣٥

توجيهه اللغوي للمسائل الفقهية

لقد كان الإمام – رحمه الله تعالى– يمتلك حساً لغوياً وعلماً يجعله يفهم دقائق الفاظ اللغة وتراكيبها بحيث يميز ما المقصود بهذا اللفظ في هذا الموضع، وأنَّه المراد هذا المعنى دون غيره ومن خلال ذلك يستنبط المراد بهذا النص أو ذاك أو هذه المفردة أو تلك على أساس هذا الفهم للغة في مسائله الفقهية.

وفيما يلي نماذج تبين بعض التوجيهات اللغوية المسائل الفقهية:

١- في مسألة نفي قطاع الطرق في قوله تعالى﴿إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(١).

فقد ذهب الإمام أبو حنيفة – رحمه الله تعالى – إلى أنَّ المراد بـ(النفي) في قوله ﴿ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ﴾ الحبس(٢) في حين ذهب غيره إلى أنَّ المراد به تغريب قاطع الطريق عن وطنه(٣).

واحتج أبو حنيفة بأن المراد بـ(النفي) الحبس؛ لأنَّ لفظ (النفي) ورد في اللغة لمعنى الحبس، يقال: نفى فلان فلانا إذا حبسه في السجن، (٤) وهذا هو المعنى الذي قصده اللغويون لكلمة النفي، ولما كان المطلوب من النفي تخليص أهل البلد من قاطع الطريق فإنَّ حبسهُ يحقق ذلك، وهو عقوبة له، كما أنَّ حبسه يعد نفياً من الأرض من حيث عدم تمتعه بما يتمتع به غير المسجونين(٥).

---

(١) سورة المائدة آية ٣٣.

(٢) ينظر: بداية المجتهد لابن رشد: ٢، ٤٤٦، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٦، ١٥٢.

(٣) وبه قال مالك وكثير من العلماء، ينظر: بداية المجتهد لابن رشد: ٢، ٤٤٦.

(٤) ينظر: كتاب العين للفراهيدي: ٨، ٣٧٥، لسان العرب لابن منظور: ١٥، ٣٣٦.

(٥) ينظر: أثر الدلالة النحوية واللغوية للسعدي: ٣١٩.

٢- في مسألة هل لمس المرأة الأجنبية ناقض للوضوء أو لا ؟ ففي قوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مِّنكُم مِّن الْغَائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً ﴾ [١] وضحت هذه الآية بعض نواقض الوضوء، منها لمس المرأة الأجنبية وهي التي يحل للرجل نكاحها؛ فذهب الإمام أبو حنيفة – رحمه الله تعالى– إلى أنَّ لمسها لا ينقض الوضوء، لأنَّه فسر اللمس في هذه الآية بالجماع[٢] في حين ذهب غيره من الفقهاء إلى أنَّ لمس المرأة التي ليست بمحرم ينقض الوضوء؛ لأنَّهم فسروا اللمس بمس البشرة [٣] وأستدل أبو حنيفة على أن اللمس لا ينقض الوضوء بأمرين:

اولهما – إنَّ اللمس في الآية كناية عن الجماع[٤]؛ لأنه لما كان من أسباب الكناية استهجان التصريح بالاسم، كنى الله تعالى عن الجماع بالملامسة، والكناية أبلغ من التصريح [٥]

ثانيهما – جاء التعبير بصيغة (لامستم) وهو من باب (فاعل) وهذا الفعل دال على المشاركة بين الاثنين يقصدهما صراحة[٦]، مثل: قاتل زيدٌ عمراً وقد يدل على الواحد ضمناً مثل: ﴿قَاتَلَهُمُ اللّهُ﴾[٧]، ومثل: طارقت النعل، فلما كان

(١) سورة المائدة: آية ٦

(٢) المغني لابن قدامه: ١، ١٤٢، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٥، ٢٢٣.

(٣) وممن ذهب إلى ذلك ابن مسعود وابن عمر وبعض التابعيين وأليه ذهب الشافعي ينظر: المغني لأبن قدامه ١، ١٤٢، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي:٥، ٢٢٣.

(٤) ينظر: الصحاح للجوهري: ٣، ٩٧٥ مادة (لمس)، لسان العرب لابن منظور: ٦، ٢٠٩ مادة (لمس)

(٥) ينظر: أثر الدلالة النحوية واللغوية لسعدي: ٣١٤ – ٣١٥.

(٦) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب: ١، ٩٦.

(٧) سورة التوبة: آية ٣٠.

الأصل في الدلالة على المشاركة، كان المراد من(لامس) الجماع؛ لأنَّهُ يكون بين أثنين بقصدهما[١] .

٣- في مسألة دية القتيل يقول تعالى﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ﴾[٢] في هذه الآية بينت الواجب في القتل العمد هل هو القصاص أو الدية ؟

فذهب الإمام أبو حنيفة – رحمه الله تعالى– الى أنَّ الواجب على القاتل القصاص لا غير، فإذا عفا ولي المقتول ورضي بالديّة فإنَّ القاتل غير ملزم بأدائها[٣] واستنتاجه هذا كان على أساس لغوي؛ لأنّ لفظ ﴿عُفِيَ﴾ ورد في اللغة لعدة معانٍ: منها التجاوز عن الذنب[٤]، ومنها الطمس والمحو، يقال: عفت الرياح آثار الديار، أي: محتها[٥]، ومنها السهولة يقال: أدرك الأمر عفواً، أي سهلاً[٦] ومنها الدلالة على ما يبقى من الشيء مثل قوله تعالى ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ﴾[٧]، أي الفاضل عن حاجتهم، وقد جاء في هذه الآية محتملاً معنيين هما:-

أ- **العطاء:** يقال: عفا المال، أي: أعطاه [٨].

ب- **الإسقاط:** يقال: عفا عن حقه إذا أسقطه[٩].

---

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٥، ٢٢٥.

(٢) سورة البقرة آية ١٧٨

(٣) وتابعهُ في ما ذهب إليه الإمام مالك والاوزاعي والثوري ينظر بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع للكاساني: ٧، ٢٤٧، بداية المجتهد لابن رشد: ٢، ٣٩٤.

(٤) لسان العرب لابن منظور: ١٥، ٧٢ مادة (عفا)

(٥) لسان العرب لابن منظور: ١٥، ٧٢ مادة (عفا).

(٦) لسان العرب لابن منظور: ١٥، ٧٢ ماده (عفا).

(٧) سورة البقرة: آية ٢١٩.

(٨) لسان العرب لابن منظور: ١٥، ٧٢ مادة (عفا)

(٩) لسان العرب لابن منظور: ١٥، ٧٢ ماده (عفا).

وفي هذه الآية المراد به العطاء فيكون المراد بالاسم الموصول (مَنْ) ولي المقتول، أي: إذا أعطى القاتل ولي المقتول شيئاً من المال، فليتبعه ذلك الولي بالمعروف وليؤد القاتل إليه حقه بإحسان؛ لأنَّ الموصول وهو (مَنْ) متضمن معنى الشرط، والشرط ليس فيه دلالة على الإلزام، فيكون إعطاء الدية منوطا باختيار القاتل؛ لأنَّ الواجب الأصلي عليه القتل(١).

الخـــاتمـــة

هذا البحث الموسوم بـ(أبو حنيفة واستدلاله النحوي واللغوي على الأحكام الفقهية) جاء بثلاثة مباحث استوفيتُ فيها الاستدلال النحوي واللغوي للإمام أبي حنيفة – رحمه الله تعالى – في بعض من مسائله الفقهية وقد تمخض البحث عن نتائج أهمها:

أنَّ أبا حنيفة كان عالماً فذاً من علماء العربية على الرغم مما قيل عنه ونسب من أقوال لا تمت إلى الحقيقة بصلة.

بل الحقيقة التي تجلت لنا من هذا البحث أنَّ هذا الزخم الكبير من الفقه لا يمكن أنْ ينتج إلا عن عالم باللغة العربية نحوها وصرفها بل وجميع علومها.

كما توصلت إلى أن هذه الشذرات النحوية واللغوية التي جاءت على لسان أبي حنيفة – رحمه الله تعالى – إنَّما تدل دلالة واضحة على درايتهِ بلهجات العرب، وذلك من خلال التخريجات التي عرضتها في هذا البحث.

من خلال ما سبق يقترح الباحث بما يأتي:

٣- تكريس بعض الرسائل والبحوث لدراسة علم أبي حنيفة النعمان–رحمه الله تعالى– في اللغة العربية فضلا عن ما عرفه الناس عنه من فقه وأحكام

٤- توجيه الباحثين لكتابة التآليف التي تتناول علاقة علم أبي حنيفة في اللغة والنحو مع علومه الفقهية واستدلالاته.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

---

(١) ينظر أثر الدلالة النحوية واللغوية للسعدي: ٢٩٨.

المصادر والمراجع

١- الأئمة الأربعة، د. أحمد الشرباصي، دار الجيل، بيروت

٢- أبو حنيفة النعمان، وهبي سليمان غاوجي الألباني، دار القلم.

٣- أثر الدلالة النحوية واللغوية في استنباط الأحكام من آيات القرآن التشريعية، د. عبد القادر السعدي، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٤- الإحكام في أصول الأحكام، الشيخ سيف الدين أبي الحسن علي الآمدي الحنبلي ثم الشافعي ت سنه ٦٣١هـ، مطبعة صبيح بالقاهرة، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م.

٥- أحكام القرآن، للشيخ أحمد علي الجصاص، مطبعة الأوقاف الإسلامية، ١٣٣٥هـ

٦- إرتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيان الأندلسي.

٧- إزالة القيود عن الفاظ المقصود في فن الصرف، د. عبد الملك عبد الرحمن السعدي، ط٢، دار الانبار، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

٨- إعراب القرآن، احمد محمد إسماعيل النحاس، تح. د. زهير غازي زاهد، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.

٩- الأشباه والنظائر في الفقه الحنفي، زين العابدين بن إبراهيم بن نجيم، تح. عبد العزيز محمد الوكيل، مطابع سجل العرب، القاهرة، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م .

١٠-الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء، يوسف بن عبد البر النَّمري.

١١-البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، مكتبة ومطابع النصر الحديثة، الرياض.

١٢-بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، أبو بكر بن مسعود الكاساني، ط١، مطبعة شركة المطبوعات العلمية مصر، ١٣٢٧هـ.

١٣-بداية المجتهد ونهاية المقتصد، محمد أحمد بن رشد القرطبي، مطبعة الإستقامة، القاهرة ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م.

١٤-بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، مطبعة عيسى البابي الحلبي.

١٥-البيان في غريب إعراب القرآن، عبد الرحمن محمد الأنباري، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م.

١٦-البيان والتبيين، أبو عثمان بن عمرو بن بحر الجاحظ ت ٢٥٥هـ، تح عبد السلام هارون، ط٤ بيروت.
١٧-تأريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان نقله إلى العربية، د عبد الحليم النجار، دار المعارفبيروت. ط٢، ١٩٦٩م.
١٨-تأريخ بغداد، للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ت ٤٦٣هـ، دار الكتاب العربي، بيروت .
١٩-تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، أبن مالك الاندلسي، تح محمد كامل بركات، نشر دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، مصر، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.
٢٠-تهذيب التهذيب، لأبن حجر العسقلاني ت ٨٥٢هـ، ط١، دائرة المعارف في الهند، ١٣٢٥هـ
٢١-الجامع لأحكام القرآن، محمد أحمد القرطبي، ط٣، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م
٢٢-الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن قاسم المرادي ت٧٤٩هـ، تح. فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٢٣-الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تح. محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت
٢٤-الخيرات الحسان في مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان، شهاب الدين احمد بن محمد بن حجر الهيتمي المكي ت٩٧٣هـ، مطبعة الأمة، بغداد، ١٩٨٩م.
٢٥-دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، يوهان فك، ترجمة وتعليق د رمضان عبد التواب، الناشر مكتبة الخانجي، مصر، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
٢٦-ديوان امرئ القيس، تح: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف، مصر، ١٩٦٩م.
٢٧-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الألوسي البغدادي، ط١، مطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، مصر، ١٣٠١هـ.

٢٨-سير أعلام النبلاء، الأمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت٧٤٨هـ، دار البيان الحديث، القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٢٩-شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، بهاء الدين عبد الله بن عقيل المصري ت٧٦٩هـ، تح. محمد محي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، ط٢٠، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

٣٠-شرح شافية ابن الحاجب، الشيخ رضى الدين محمد بن الحسن الاستراباذي النحوي ت٦٨٦هـ، تح محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

٣١-شرح شافية ابن الحاجب، عبد الله محمد الحسيني المعروف بقره كار، مطبعة عيسى البابي الحلبي.

٣٢-شرح شواهد المغني، جلال الدين السيوطي، تح. أحمد ظافر كوجان، دمشق، لجنة التراث العربي، ١٣٨٦هـ -١٩٦٦م..

٣٣-شرح الكافية الشافية، جمال الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك، ت١٩٨٢م. عبد المنعم أحمد حريري، ط١، دار المأمون للتراث، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

٣٤-شرح المفصل، يعيش بن علي بن يعيش، عالم الكتب، بيروت، ومكتبة المثنى، القاهرة.

٣٥-الصاحبي، أحمد بن فارس بن زكريا، تح السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٧٧م.

٣٦-الصحاح تاج اللغة وصحاح العرب، إسماعيل بن حّماد الجوهري ت٣٩٣هـ، تح أحمد عبد الغفور عطّار، ط٣، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٣٧-طبقات الحنابلة، محمد بن أبي يعلي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م.

٣٨-طبقات النحويين واللغويين، محمد بن الحسن الزبيدي، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف مصر.

٣٩-فتاوى ابن تيمية، لشيخ الإسلام احمد بن تيميه، محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، ط١، السعودية ١٣٩٨هـ.

٤٠-فقه الإمام الاوزاعي، د. عبد الله محمد الجبوري، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.

٤١-الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان الملقب بسيبويه، تح عبد السلام هارون، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧هـ.

٤٢-كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ت١٧٠هـ، تح د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠.

٤٣-الكشاف، جار الله محمود بن عمر الزمخشري، ط٢، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، مصر، ١٣١٨هـ.

٤٤-كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى ابن عبد الله القسطنطيني المعروف بحاجي خليفة ت١٠١٧هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٤٥-الكوكب الدري في تخريج الفروع الفقهية على المسائل النحوية، جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن الأسنوي ت٧٧٢هـ، تح د عبد الرزاق السعدي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ط١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٤٦-لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المصري ت ٧١١هـ، دار صادر بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٤٧-اللمع في العربية، أبو الفتح عثمان بن جني ت٣٩٢هـ، تح حامد المؤمن، مطبعة الداني بغداد، ط١، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٤٨-المذكر والمؤنث، يحي بن زكريا الفراء، تح: د. رمضان عبد التواب، مكتبة دار التراث، القاهرة، ١٩٧٥م.

٤٩-المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي، تح محمد احمد حاد المولى، علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي.

٥٠-المستصفى في علم أصول الفقه، حجة الإسلام أبو حامد الغزالي ت ٥٠٥هـ، ط١، المطبعة الأميرية، بولاق، ١٣٢٤هـ .
٥١-معجم الأدباء، ياقوت الحموي، طبعة دار المأمون.
٥٢-المغنى، لابن قدامه المقدسي، مطبعة الفجالة الجديدة، القاهرة، ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م.
٥٣-مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، جمال الدين ابن هشام الأنصاري ت٧٦١هـ، تح. د. مازن المبارك، دار الفكر، بيروت، ط٦، ١٩٨٥م .
٥٤-مفاتيح الغيب المسمى (تفسير الرازي) محمد ضياء عمر الرازي، المطبعة المصرية، بولاق مصر، ١٢٨٩هـ.
٥٥-المقرب، علي بن مؤمن المعروف بابن عصفور، تح د. احمد عبد الستار الجواري، عبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، ط١، ١٣٩١هـ – ١٩٧١م.
٥٦-مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه أبي يوسف ومحمد بن الحسن، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن احمد بن عثمان الذهبي ت ٧٤٨هـ، تح محمد زاهد الكوثري، أبو الوفاء الأفغاني، دار الكتاب العربي، مصر.
٥٧-المنخول من تعليقات الأصول، حجة الإسلام أبو حامد الغزالي، تح د محمد حسن هيتو، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٠هـ – ١٩٧٠م.
٥٨-الهداية شرح بداية المبتدي، علي بن أبي بكر عبد الجليل المرغيناني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر.
٥٩-هدية العارفين، إسماعيل باشا البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٣١هـ – ١٩٩٢م.
٦٠-همع الهوامع شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي، دار المعرفة، بيروت.
٦١-وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد حمد بن خلكان، تح د. أحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م .

المحتــويات

ن	الموضوع	الصفحة
١.	**المقـدمـة**	١
٢.	**المبحث الأول (حياة أبي حنيفة)**	٣
٣.	اسمه ونسبه	٣
٤.	مولده	٣
٥.	نشأته العلمية	٣
٦.	شيوخه	٥
٧.	تلاميذه	٦
٨.	مؤلفاته	٧
٩.	قراءاته	٧
١٠.	صفاته	٩
١١.	وفاته	١٢
١٢.	**المبحث الثاني (علاقة الفقه باللغة العربية)**	١٣
١٣.	حاجة الفقيه إلى اللغة العربية	١٣
١٤.	الاحتجاج باللغة العربية للأحكام الشرعية	١٥
١٥.	أبو حنيفة وعلاقته باللغة العربية	١٦
١٦.	**المبحث الثالث (التوجيه النحوي واللغوي)**	٢١
١٧.	توجيهه النحوي للمسائل الفقهية	٢١
١٨.	توجيهه اللغوي للمسائل الفقهية	٢٩